نوم تشومسكي

تشومسكي في مكتبه

١ ـ عن أهميّة المقاومة المسلّحة للنضال الفلسطينيّ:

إنّ عبارة «المقاومة المسلّحة» عبارةٌ غامضةٌ. فمقاومة الاجتياح الإسرائيليّ للبنان مختلفة كثيرًا عن التفجيرات الانتحاريّة في تل أبيب. ومن دون هذا التوضيح لا تُمْكن الإجابةُ عن هذا السؤال.

لنبقَ ضمن إطار المقاومة المسلّحة داخل الضفّة الغربيّة وقطاع غزّة. إنّ سؤال «أيُمْكن أن يتحقّق التحرُّرُ من دون المقاومة المسلّحة» يَفْترض مسبقًا أن التحرُّر **يُمْكن** أن يتحقّق بفضلها، أيْ يَفْترض أنّ المقاومة المسلّحة في الأراضي المحتلّة تَدْفع بقضيّة التحرُّر قُدُمًا. لاحظْ أنّ هذه الأسئلة تدور [في هذا السياق] حول فعّاليّة هذه المقاومة، لا حول شرعيّتها ـ التي هي مسألةٌ مستقلّةٌ.

إنّ وجهة نظري الخاصّة منذ ٣٥ عامًا هي أنّ الكفاح المسلّح لتحقيقِ ما كان البرنامجَ الرسميَّ لمنظّمة التحرير الفلسطينيّة حتى منتصف السبعينيّات (وبعدها على نحوٍ غامضٍ) كان، ومايزال، وسيبقى في المدى المنظور، مشروعًا انتحاريّاً. ولو أنّه ـ خلافًا للوقائع ـ كان «عمليّاً وواقعيّاً» فإنّه كان سيكون «ممّا لا يُمْكن أن يتحمّلهُ الرأيُ المتحضّر في صفوف اليسار أو غيره.» وأسبابُ ذلك موضحةٌ بتوسُّع في المحاضرة التي اقتَبستُ منها العبارات السابقة؛ وهي محاضرةٌ ألقيْتُها أمام جمهور عربيّ في غالبيّته عام ١٩٧٠ ونُشِرَتْ في كتابٍ حرّره عابدين جبارة وجانيس تيري بعنوان **العالم العربيّ** (١٩٧١) وفي كتابي **السلام في الشرق الأوسط؟** (١٩٧٤).

في ما يتعلّق بالكفاح المسلّح ضمن المناطق المحتلّة [عام ٦٧] كنتُ أرى أيضًا منذ البداية، وذكرتُ تكرارًا، أنّه مضرٌّ بقضيّة التحرير، وأنّه هديّةٌ للمتشدّدين الإسرائيليّين الذين يرحّبون بنقل الصراع إلى ميدان العنف، حيث تطغى عناصرُ تفوُّقهم على الطرف الآخر، بما يزيد أيضًا من قدرتهم على تعبئة الدعم الدوليّ في الجانب الذي يُفيدهم. ولهذا لا أستطيع الإجابةَ عن سؤالكم لأنّني أعتقد أنّ افتراضاتِه المسبّقة غيرُ دقيقة.

لقد كنتُ أُؤْمن دائمًا، ومازال، بأنّ المقاومة غيرَ العنفيّة، ممتزجةً بجهود تعليميّة وتنظيميّة تتمّ بالتعاون مع إسرائيليّين (يهودٍ وعربٍ) وفي داخل الولايات المتحدة على نحوٍ حاسم بسبب دورها الفاصل، كانت ستكون وماتزال أكثرَ الوسائل فعّاليةً في دَفْع قضيّة التحرير قُدُمًا. أنا لا أَمْلك حقّ تقديم النُّصْح للآخرين حين لا أكون واقفًا إلى جانبهم لأتحمّلَ تبعاتِ ذلك النّصْح، ولكنْ لأنّكم سألتموني فجوابي هو أنّ ذلك هو ما أؤْمن به، وأعتقد أنّ الحجج المؤيِّدة له قويّةٌ جدّاً، مع أنّه ليس ثمّة شكٌّ على الإطلاق في المعاناة التي سترافِق مثلَ تلك الجهود. لا أدّعي تجربةً شخصيّةً عظيمةً في هذا المجال ولكنّني كَسَرتُ القرارَ العسكريَّ الإسرائيليَّ بمنع التجوُّل مرّاتٍ عدّة (بمعيّة أصدقاء عربٍ وأحيانًا يهود إسرائيليّين) عام ١٩٨٨، وفي ذُرْوة الرعب، كما حَدَثَ مثلاً في «بيتا» حيث تجاوَزَ الدمارُ ما أوردتْه الصحافةُ بكثيرٍ. ولم تكن تلك هي الحالةَ الوحيدةَ. وقد كتبتُ عن الحالات الأخرى، ولن أكرِّر ما قلتُه. ولكنْ إذا وضعنا التجربةَ الشخصيّةَ المحدودةَ جدّاً جانبًا، فإنّ هناك كثرةً كثيرةً من الأدبيّاتِ الغنيّة والمثيرةِ والموثوقةِ جدّاً لتصوير الحقيقة البشعة.

سؤال الفعّاليّة هو ما إذا كانت المعاناةُ ستكون أقلّ، وآمالُ النجاح ستكون أكثر، لو اتُّبعتْ أساليبُ لاعنفيّةٌ بطريقةٍ أعمقَ كثيرًا في كلّ المجالات التي أشرتُ إليها. وذلك ما أعتقده، بل، وبفارق ضخم أيضًا [لصالح الأساليب اللاعنفيّة] في واقع الأمر. لقد ضُيِّعتْ فرصٌ كثيرة، ولكنْ ليس أبدًا بشكلٍ لا رجوع عنه. ونقيضًا لذلك، فإنّ الكفاح المسلّح مازال في رأيي وصفةً للبؤس والكارثة.

لو بقينا حَصْرًا في إطار البحث في فعّاليّة الكفاح المسلّح، لا في شرعيّته، فإنّ بمقدور المرء أن يَطْرح أنّ أعمال الهجوم على المستوطنين والجنود في الأراضي المحتلّة، أو ضمن «الخطّ الأخضر» [مناطق ١٩٤٨]، قد تَجْعل الحياةَ غيرَ محتملةٍ للإسرائيليّين بحيث يقلّ توسُّعُ المستوطنات للمرّة الأولى منذ أوسلو ويُدفَعُ كثيرٌ منهم إلى الرحيل. والحقّ أنّ هذا قد حدث فعلاً إلى مدًى محدود. ومع ذلك فإنّ الضرر الذي لحقَ بقضيّة التحرير يبدو،

في رأيي، أقوى من هذا العامل، إذا نحن من جديدٍ نَحَّيْنا جانبًا الأسئلةَ المتعلّقةَ بما هو حقٌّ وما هو باطل.

هناك أحيانًا أطروحة أخرى تشير إلى نجاح حزب اللّه في طرد إسرائيل من لبنان، وهو ما فعله ذلك الحزبُ حقّاً. ولكنّني أعتقد أنّ المقارنة بين الحالَيْن ليست مناسِبَةً على الإطلاق.

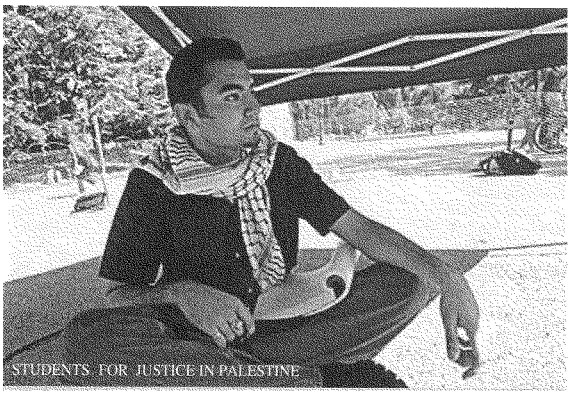

«المقاومة غير العنفيّة ممتزجةً بجهودٍ تعليميّة وتنظيميّة... أكثر الوسائل فعّاليّة»: مخيَّم مقلَّد في كاليفورنيا

٢ ـ عن أضرار الكفاح المسلّح على الفلسطينيّين:

أعتقد أنّ علينا أن نتنبّه إلى التمييز بين «المقاومة المسلّحة» من جهة، وخطفِ الطائرات وأعمالٍ إرهابيّةٍ أسوأ من هذا بكثير من جهة ثانية. فالحقيقة أنّ ثمّة القليلَ جداً ممّا يُمْكن عَدُّهُ «مقاومةً مسلّحةً» بالمعنى الذي أعتقد أنّ على هذا المصطلح أن يُستخدمَ به. ولكنْ كان هناك الكثيرُ من «الإرهاب،» وأعتقد أنّه يجب ألاّ يكون هناك جدلٌ كبيرٌ حول المعنى الأساسيّ لهذا المصطلح. والتعريفات الأميركيّة الرسميّة جيّدة بما فيه الكفاية، وهي أنّ الإرهاب هو «الاستخدامُ المحسوبُ للعنف، أو التهديدُ بالعنف، من أجل بلوغ أهدافٍ سياسيّةٍ أو دينيّةٍ أو إيديولوجيّةٍ في طبيعتها... عبر الرعب، أو القَسْر، أو غَرْس الخوف.» صحيحٌ جداً أنّ أيّاً من أنظمة القوّة أو الذين يبرِّرون أعمالَها على استعداد لأن يطبِّقوا على أنفسهم مثلَ هذه التعريفات المعقولة: ولكنْ بمقدورنا نحن، بل علينا، أن نَفْعلَ ذلك. وبحسب هذا التعريف المعقول، فإنّ الكثير ممّا جرى إرهابٌ.

إذا بقينا في هذا الإطار فإنّ السؤال الضيّق الذي تطرحونه ذو صلةٍ بالواقع، وهو: هل صاغت الأعمالُ الإرهابيّةُ الهويّةَ الفلسطينيّةَ؟ الأرجح أنّها فعلتْ ذلك، ولكنْ ليس بشكلٍ صحّيّ في اعتقادي. ولهذا لا أستطيع أن أجيبَ عمّا إذا كانت «المقاومةُ المسلّحةُ» لا غنًى عنها. أمّا بصدد الأسئلة الأخرى فإنّ الإجابات عنها تَتْبع الخطوطَ التي أشرتُ إليها سابقًا. فأعمالُ الإرهاب الدوليّة التي ذكرتموها، ولكنْ أيضًا الاعتداءاتُ الوحشيّةُ الموجَّهةُ أساسًا ضدّ اليهود «الشرقيّين» المساكين في البلدات النامية قرب الحدود، ليست في رأيي أعمالاً شنيعة أخلاقيّاً فحسب بل هي أيضًا «معتوهةٌ تكتيكيّاً» (باقتباسٍ من كلماتي نفسِها مرةً ثانيةً). لم تكن هناك هديّةٌ يرحِّب بها الإسرائيليُّون المتشدِّدون ومن يَدْعمهم في الولايات المتحدة وغيرها [أفضلُ من تلك الأعمال والاعتداءات]. وبالطبع تمّ استخدامُها من قِبل كلّ أعداء الفلسطينيّين من أجل التشهير بهم والتقويض من جهودهم المشروعة. لا فائدةَ نرجوها من الإشارة الصحيحةَ إلى أنّ أعمالَ إسرائيل الإرهابيّةَ كانت أسوأَ بكثير [من تلك التي نفّذها الفلسطينيُّون]، أو أنّ أعمال الولايات المتحدة الإرهابيّةَ تَسْرق الأضواءَ من الطرفيْن معًا. من المهمّ جداً أن نشدِّد على هذه الحقائق الحاسمة أمام الجمهور الإسرائيليّ والأميركيّ وأمام الرأي العالميّ أيضًا، ولكنْ من المهمّ بدرجة مساوية أن يُقَرَّ بأنّ هذه الحقائق غيرُ ذاتِ صلةٍ بتقويم الإرهاب الفلسطينيّ، سواء على الأرضيّة الأخلاقيّة أو التكتيكيّة.

في رأيي أنّ اللجوءَ إلى الإرهاب قد كان كارثةً مُطْلقةً من جميع الزوايا. ولعلّي أضيف أنّني وقعتُ في خلافات كثيرة في هذا الصدد مع أصدقاء فلسطينيّين ومع غيرهم أثناء نقاشاتنا في الأراضي المحتلّة وفي أماكن أخرى. ولكنّني أعتقد أنّ استنتاجي سليم.

٣ ـ عن أثر البُعْد الأخلاقيّ على السياسيّ:

إنّ كل حركة تحرّر تقريبًا ممّا يَخْطر في بالي قد لجأتْ في رأيي، في بعض الأوقات، إلى أعمالٍ غيرِ مقبولةٍ أخلاقيّاً وإنْ كانت أحيانًا فعّالة، ربّما لخدمة قضيّة عادلة. فهل كانت تلك الأعمالُ مبرَّرةً؟ وحدَهم أصحابُ الآراء المُطْلقة يستطيعون أن يقدِّموا إجاباتٍ عامّةً عن أسئلة كهذه. وأنا لستُ واحدًا منهم. ولا أعتقد أنّ المنظومات الأخلاقيّة والمناقبيّة، بالقدْر (المحدود) الذي ندركها به، تُشْبه المنظومات البدهيّةَ المنسجمة. إنّ شؤون البشر تَطْرح العديدَ من الأزمات والمُعْضِلات. والحقوق تتضارب. وغالبًا ما يَصْعب كثيرًا تقريرُ تبعات الأعمال. ولذلك فإنّ البحثَ عن معادلاتٍ عامّةٍ تَنْطبق على كل حالة لن يَقُودنا بعيدًا، بل الحقُّ أنّه لن يقودَنا إلى أيّ مكانٍ تقريبًا. إنّ الظروف المعيّنة تهمّ كثيرًا. وليس إيجادُ سبيلٍ عادلٍ ومشرِّفٍ بين حقول ألغام الشكّ وموازنةِ الخيارات أمرًا سهلاً. وهذا يَنْطبق على الحياة الشخصيّة، ولكنّه يَنْطبق أكثرَ حين يكون مصيرُ آخرين كُثُرٍ في خطر. على المستوى العامّ الذي يُطرح فيه السؤالُ لا أعتقد أبدًا بإمكان وجود إجاباتٍ معقولةٍ.

٤ ـ عن إمكانيّة المقاومة المسلّحة اليوم، وفعّالية الانتفاضة الأولى:

لا أعتقد أنّ المقاومة المسلّحة كانت أقوى تأثيرًا بوجود «القطبيْن.» وكانت ستكون عديمةَ الجدوى، بل أسوأَ من ذلك، في بولندا وتشيكوسلوفاكيا في ظلّ الحكم الروسيّ مثلاً. ولم ير الروسُ أيَّ جدوى لها في فلسطين بالتأكيد. والحقيقة أنّهم عارضوها بعنف، كما كانت حالُ كلّ البلاد الواقعة في مدار التأثير الأميركيّ، حتى حين وَجَدوا أنفسَهم مُجْبرين على تقديم بعض الدعم. لقد كانت هناك أوهامٌ لا تصدَّقُ في المناطق الفلسطينيّة المحتلّة حول الروس. وأنا أَكْره أن أَسْرد بعضًا ممّا سمعتُه من مثقفين فلسطينيّين حتى في عام ١٩٨٨، ولا حاجةَ إلى الإشارة إلى ما حدث بعد ذلك ببضع سنوات.

كانت هناك إنجازاتٌ عدّةٌ أثناء الانتفاضة الأولى. من بينها بداياتُ قيام ثورة اجتماعيّة هامّة داخل المجتمع الفلسطينيّ تُحطِّم أنساقَ قمع النساء ومظاهرَ تخلُّفٍ أخرى، وتَفْتح الآفاقَ لمشاركةٍ وفعلٍ شعبيّيْن مؤثِّريْن. وهناك إنجاز آخر تمثّل في صياغة بعضِ الروابط

مع عناصر داخل المجتمع الإسرائيليّ ملتزمةٍ ما يُمْكن أن يَكُون رؤيةً مشتركةً للعدالة والتحرير. والأمرُ عينُه كان يَنْطبق على مستوى العالم. لم أرَ حقّاً تحليلاً نقديّاً يَقِظًا ومُقْنِعًا لأسباب فشلِ تلك الجهود، وقد فشلتْ فشلاً ذريعًا في الواقع. لقد أَعْطيتُ تقويمي [لهذا الفشل] كتابةً، ولن أعيدَه الآن، ولكنّه نظرةٌ من الخارج تركِّز على السياسات الأميركيّة والإسرائيليّة وعلى الفشل المريع في تعبئة الرأي العامّ الأميركيّ ـ وهذه قصةٌ طويلةٌ ومزعجة في حدّ ذاته. ليست لديّ معرفةٌ بالمجتمع الفلسطينيّ تكفي لأن أغامرَ بإعطاء حُكْم موثوق. ولكنّني أعتقد أنّ هذا جهدٌ يجب أن يُبْذَلَ جماعيّاً. وربّما بُذل حقّاً، وإذا حدث ذلك فإنّني لم أره.

ولكنْ حتى من دون إجابات واضحة عن هذه الأسئلة فإنّني أعتقد، مثلما اعتقدتُ منذ زمن طويل، أنّ الأمل الوحيد يَكْمن في الإصلاح الداخليّ وفي الدَّمَقْرطة ـ وهي نقطة يُشدِّد عليها حيدر عبد الشافي من بين آخرين؛ ويَكْمن أيضًا في صياغة روابط في قلب المجتمع الإسرائيليّ وفي قلب الولايات المتحدة وعلى المستوى العالميّ وفقًا لأبعاد كثيرة. وهذه الأبعاد يُمْكن بل يجب أن تتضمَّن أيضًا عملاً مباشرًا، ومقاومةً جادّةً لاعنفيّةً مع مشاركة عالميّة. ومثلُ هذه الأفعال تَفْترض مسبَّقًا جهودًا تعليميّةً وتنظيميّةً لم تَكَدْ تبدأ بعدُ، برغم وجود فرصٍ كثيرةٍ في الماضي. ففي الولايات المتحدة مثلاً ليس ثمّة عمليّاً مَنْ يَمْتلك فهمًا وإنْ أدنى لدور الولايات المتحدة فعليّاً في «العمليّة السلميّة» (وهي تسميةٌ تَبْعث على الضحك) طوال السنوات الخمس والعشرين أو الثلاثين الماضية. بل إنّ الحقائق الأكثر بدائيّةً مكبوتةٌ في هذا الصدد. هناك طريقٌ طويلة يجب سلوكُها قبل التمكّن من البدء في عمل مباشر كبير ذي معنى. ومازلتُ أعتقد أنّ هذا السُّبُل قد كانت ومازال هي السُّبُلَ الأكثرَ وَعْدًا.

٥ ـ عمّا إذا كانت المقاومة المسلّحة ردَّ فعل، وما هي البدائل:

لا أستطيع إلاّ أن أكرِّر ما قلتُه سابقًا. علينا أن نعرِّف ما نعنيه بـ «المقاومة المسلّحة،» وعلينا أن نقوِّم كلَّ حالة على أرضيّةٍ أخلاقيّةٍ وتكتيكيّةٍ. لا معنى للقول إنّ الناس «أُجْبِروا» على اللجوء إلى الأفعال التي لا يُمْكن تحمُّلُها أخلاقيّاً والتي هي أيضًا «معتوهةٌ تكتيكيّاً» (إنْ لم تمانعوا في أن أقتبسَ كلماتي من جديد). بل إنّ تعبير «لا معنى للقول» pointless أضعفُ من أن يعبِّر عن حقيقة الأمر؛ وثمّة تعبيراتٌ أقسى ستكون أكثرَ ملاءمةً هنا. بمقدور المرء أن يَفْهم لِمَ يُدْفَعُ الناسُ driven إلى أعمالٍ يائسة، بما فيها أعمالٌ تنتهي بانتحارهم وبتدمير حياة أعزّائهم. ولكنْ يَجْدر بنا ألاّ نُوحيَ أبدًا أنّهم «أُجبِروا» compelled على أن يَسْلكوا مثلَ هذا المسلك.

«الكفاح المسلّح... وصفة للبؤس والكارثة»: تدمير منازل في رفح (١١/١/٢٠٠٢) عقب مقتل ٤ جنود

أمّا بالنسبة إلى رأيي في الأفعال والبدائل فليس في استطاعتي إلاّ أن أكرِّرَ ما طرحتُهُ منذ سنوات كثيرة وكرَّرتُهُ بإيجاز في الصفحات السابقة.

٦ ـ عن تأثير المقاومة المسلّحة في إسرائيل:

إنّه أمرٌ يبعث على السخرية أن يَعْتقد المرءُ أنّ المقاومة الفلسطينيّة المسلّحة ستَهْزم جيشَ الدفاع الإسرائيليّ. على العكس، ستُمحى هذه المقاومةُ على يد قوّةٍ تَفُوقها بشكل هائل. وإنْ بلغتِ المقاومةُ مستوًى تستطيع فيه فعلاً أن تتحدّى جيشَ الدفاع الإسرائيليّ ـ خلافًا لكلِّ ما يُمْكن أن نَتَصوَّرَه ـ فإنّ ذلك سيؤدِّي على الأرجح إلى حربٍ تدمِّر المنطقةَ بأسرها وربّما ما يتعدّاها بكثير.

دعوني أشدِّدْ مرّةً ثانيةً أنّ مثالَ حزبِ اللّه ليس قياسًا ملائمًا على الإطلاق.

هل تُحْدث المقاومةُ الفلسطينيّةُ المُسلَّحةُ شرخًا داخل إسرائيل؟ على العكس تمامًا، ستشكِّل وحدةً داخل إسرائيل داعِمةً لأكثر العناصر وحشيّةً وقسوةً، تمامًا كما وصفتم في سؤالكم. أَوَتُحْدِثُ الوحشيّةُ الإسرائيليّةُ في الأراضي الفلسطينيّةُ المحتلّة شَرْخًا في صفوف الفلسطينيّين؟ وهل أدّى إرهابُ تنظيم «القاعدة» إلى إحداث شرخ في صفوف الأميركيّين والأوروبيّين؟! إنّ اغتيالَ [الضابط النّازي] راينهارد هايدريتش من قِبل المقاومين [التشيكيّين] قد كان أمرًا يُمْكن فهمُه بالتأكيد، ولكنْ هل أدّى إلى شرخ بين الألمان؟وهل حقّق شعبُ ليديس [وهي قريةٌ تشيكيّةٌ] التحريرَ بفضلِ هذا العمل في ذاته؟ بل هل حقّق غيرُه هذا الهدفَ، إنْ كنّا واقعيِّين؟

يُمْكن المرءَ أن يتخيَّل ظروفًا قد يكون اللجوءُ فيها إلى المقاومة المسلَّحة ـ وبهذه لا أَقْصد الإرهابَ ـ فعّالاً في تحقيق الأهداف المنشودة (مع الالتزام هنا مجدّدًا سؤالَ الفعّاليّة). لا أعتقد أنّ هذه الظروف موجودةٌ الآن، ولا تبدو في الأفق أيضًا. والمقارَبَةُ المعقولةُ، في رأيي، تَكْمن في سبلٍ مختلفةٍ تمامًا، هي تلك التي حاولتُ أن أشيرَ إليها بإيجاز.

٧ ـ عن نموذج حزب اللّه:

لقد قام حزبُ اللّه بأعمالِ مقاومةٍ شديدةِ الفعّاليّة داخل لبنان، ونجح في طرد إسرائيل من لبنان حين صارت أكلافُ الاحتلال باهظةً. وبعكس منظّمة التحرير الفلسطينيّة، ولاسيّما في أوائل السبعينيّات، فإنّ أعمال الهجوم التي نفّذها حزبُ اللّه على المستوطَنات الإسرائيليّة كانت ثأريّةً في أكثريّتها الساحقة. لقد بدأتْ دورةُ العنف، في معظم الأوقات، بأعمالِ هجوم نفّذها الحزبُ ضدّ القوات الإسرائيليّة المحتلّة أو المرتزقة المحليِّين

التابعين لها، وتَبِعَ ذلك انتقامٌ إسرائيليٌّ ضدّ المدنيّين اللبنانيّين والفلسطينيّين، وانتهى الأمرُ بصواريخ كاتيوشا تُطْلق على المستوطَنات الإسرائيليّة انتقامًا. لم تُتَّخذ الخطوةُ الأخيرةُ إلاّ بعد مضيّ زمن طويل، وحين اتُّخِذتْ شَجَبَتْ حكومةُ رابين هذا الانتهاكَ لـ «قواعد اللعبة» وقامت باجتياح وحشيّ، كرَّره شيمون پيريز بعد ثلاثة أعوام. وقد دَعَمَت الولاياتُ المتحدةُ هذه الفظائعَ الإسرائيليّةَ الإرهابيّةَ، إلى أن أضْحتْ ردودُ الفعل الدوليّة بالغةَ القوّة ولاسيّمَا بعد المجزرة التي ارتكبها پيريز في قانا.

«أعتقد أنّ هذا النموذج لا يلائم الفلسطينيّين إلى حدّ كبير»: حزبُ اللّه منتصرًا في الجنوب

أعتقد أنّ هذا النموذج لا يلائم الفلسطينيّين إلى حدٍّ كبير. لقد كانت لإسرائيل مصالحُ محدودةٌ في لبنان: كان لها بعضُ المصالح، لكنّها لم تكن ذاتَ أهميّةٍ كبيرة. وأمّا الضفّة الغربيّة تحديدًا فحكايةٌ مختلفةٌ تمامًا. كما أنّ الفلسطينيّين لا يَمْتلكون القدرةَ العسكريّةَ ـ التقنيّة ولا الدعمَ الدوليّ لكي يقوموا بأيّ عمل يُشْبه وإنْ شَبَهًا بعيدًا أعمالَ حزبِ اللّه ضدّ القوات الإسرائيليّة المحتلّة. إنّ المقارنة، ببساطة، لا تصحّ في كلّ بُعْدٍ ذي معنى؛ ومحاولةُ اتّباعها ليست، في رأيي، إلاّ هديّةً أخرى تقدَّم إلى المتشدِّدين الإسرائيليّين وداعميهم الدوليّين، وهي وصفةٌ للكارثة.

أعتقد أنّ الفلسطينيّين إذا بَلَغوا القدرةَ على اتّباع نموذج حزب اللّه ـ وهو أمرٌ لا يُمْكن تخيُّلُه في هذه اللّحظة ـ فإنّ ذلك ستكون له العواقبُ التي تحدثّتم عنها [مجازر، مصادرة أراض،...]. وفي هذه الحال ستَعْمد إسرائيلُ إلى تنفيذ خطط الطوارئ التي تَمْلكها بالتأكيد، من أجل ترحيلٍ (ترانسفير) ضخم واحتلالِ أراضي ٦٧، بمساعدة الولايات المتحدة، ما لم تُتَّخذْ نشاطاتٌ تعليميّة وتنظيميّة فعّالة داخل الولايات المتحدة ـ وهذا أمرٌ حاسمُ الأهميّة. فكما تَعْلمون ذَكَرت الصحافةُ الإسرائيليّةُ أنباءَ مناوراتٍ مشتركةٍ لجيش الدفاع الإسرائيليّ وقوات المارينز الأميركيّة في صحراء النقب في أيلول (سبتمبر) ٢٠٠٠ قبل انتفاضة الأقصى، بهدف إعادة احتلال إسرائيل لأراضي ٦٧، مع كلّ ما يَسْتتبعه ذلك من أحداث.

٨ ـ عن فعّاليّة الهجوم على المستوطنين:

لا أستطيع أن أضيف شيئًا إلى ما قُلتُه. إنّ أعمال الهجوم هذه هي في رأيي شنيعةٌ أخلاقيّاً وهي ـ من جديد ـ «معتوهة تكتيكيّاً.» وأثرُها إلى حدٍّ كبيرٍ هو تقديمُ الدعم داخل إسرائيل وخارجَها لسيطرةٍ إسرائيليّةٍ دائمةٍ على أجزاء كبيرة من أراضي ٦٧ ـ تمامًا كما شاهدنا، وكما كان يُمْكن التنبُّؤُ به بسهولة بعد إلقاء نظرة على التاريخ والظروف الموجودة.

٩ ـ عن المسرح الملائم للمقاومة المسلّحة:

أولاً، إنّ إسرائيل ضمن «الخطّ الأخضر» لا تَعترف بها الأممُ المتحدةُ «إلى هذا الحدّ أو ذاك،» كما جاء في سؤالكم، بل تَعْترف بها من دون استثناء. إضافةً إلى أنّ تلك هي الحال منذ زمن طويل. يَكْفي أن تَنْظرَ إلى التصويت وإلى النقاش الذي دار على خلفيّته في مجلس الأمن في كانون الثاني (يناير) ١٩٧٦ حين استَخْدمت الولاياتُ المتحدةُ حقّ النقض (الڤيتو) للمرّة الأولى ضدّ تسوية تَقْضي بإنشاء دولتيْن فلسطينيّة وإسرائيليّة. فهذا لم يتغيَّرْ. علينا أن نتنبّه فلا نستسلمَ للأوهام، ولاسيّما الأوهامُ الضعيفةُ والهشّةُ. ولهذا السبب وحده ـ وهناك أسبابٌ أخرى ـ فإنّ العمليّات العسكريّة الفلسطينيّة ضدّ إسرائيل بحدودها المعترفِ بها دوليّاً ستُدان بشدّةٍ على امتداد طيفٍ واسعٍ جدّاً من الرأي العالميّ، وستكون بالغةَ الضرر على الفلسطينيّين، كما كانت كذلك في الماضي. أمّا بخصوص «مبرّرات» اللجوء إلى العنف فهناك عدّةُ أسئلةٍ تُطرح.

ثمة على الدوام حِمْلٌ باهظٌ من الإثباتات يتعيَّنُ على دعاة العنف أن يَحْملوه. ولأنّي لستُ سَلاَميّاً ملتزمًا فإنّني أعتقد أنّ من الممكن الوفاءَ بمتطلّبات ذلك الحِمْل، ولكنّ هذا ليس أمرًا سهلاً. فهل «برّرتْ» أعمالُ القتل التي حدثتْ في مبنى التجارة العالميّ القصفَ الأميركيّ الذي حوّل قندهار «بلدةَ أشباح» (إنْ كان لنا أن نَذْكر وجهًا واحدًا فقط من وجوه الحرب الدائرة)؟ الجواب هو نعم بالتأكيد، وذلك على قاعدة الفعّاليّة: فقد مكّنتْ تلك الأعمالُ واشنطن من تحقيق أهدافها. ولكنْ على قاعدة أخلاقيّة فإنّ الجواب هو لا مؤكّدة، في حُكْمي أنا على الأقلّ. فإذا انتقلنا إلى حالتكم أنتم، فإنّه أيّاً كان رأيُنا في التبرير الأخلاقيّ للأعمال الفلسطينيّة المسلّحة (وقد نَخْتلف كثيرًا) فإنّها بناءً على قاعدة الفعّاليّة ستكون فَشَلاً محضًا، وذلك للأسباب التي ذكرتُها آنفًا.

١٠ ـ عن دور الرأي العالميّ:

إنّ الرأي العام العالميّ عاملٌ ذو دلالةٍ ساحقة. وهذا يَنْطبق بشكلٍ خاصّ، ولأسباب واضحة، على الرأي العامّ الأميركيّ. وقد يكون فَشَلُ منظّمة التحرير الفلسطينيّة الأعظم ـ وهي فشلتْ كثيرًا ـ هو أنّها لم تَفْهم يومًا هذه النقطةَ البسيطةَ. أنا أستطيع أن أتحدّث هنا مستندًا إلى تجربة شخصيّة في هذا المجال. وفي رأيي أنّ رفضَ منظّمة التحرير الفلسطينيّة أن تَفْعَلَ ما كان بإمكانها أن تَفعله في هذا المجال ـ وأقول إنّه رفضٌ لا فشلٌ ـ يُعَدُّ خطأً فادحًا. وعليّ أن أقول إنّني طوال السنوات السابقة كنتُ على اتّصال بعدد كبير من المجموعات العالمثالثيّة ولكنّني لم أجد مثلَ هذا العجز المطْلق عن فهم أهميّة الرأي العامّ والعمل التضامنيّ

«... الدعم الشعبيّ كان عاملاً في تبدّل السياسة الأميركيّة»: طلاّب من تيمور الشرقيّة يستعيدون مدرستهم المهدّمة (آذار ٢٠٠٠)

داخل مجتمع ديموقراطيّ إلى حدٍّ معقول. هذه فاجعة بالنسبة إلى الفلسطينيِّين. ولحسن الحظ أنّ هذا الوضع تغيَّر في السنوات الأخيرة، ولكنْ بعد إضاعة وقت طويل، وهناك الآن الكثيرُ ممّا يجب فعلُه.

بالانتقال إلى الشقّ (أ) من سؤالكم، فإنّ الكفاح المسلّح هو أفضلُ وسيلة لمزيدٍ من **خفض** الدعم الدوليّ للقضيّة الفلسطينيّة، ولاسيّما في الولايات المتحدة. يستطيع المرء أن يتخيّل ظروفًا قد يُساعد فيها الكفاحُ المسلّحُ على تعبئة الدعم الدوليّ، وذلك تحديدًا إذا كانت الأسبابُ الموجِبةُ لهذا الكفاح مقبولةً. ولكن هذا من البُعْد عن حقيقة الأمور في الحالة التي بين أيدينا بحيث لا نحتاج إلى مجرّد نقاشه.

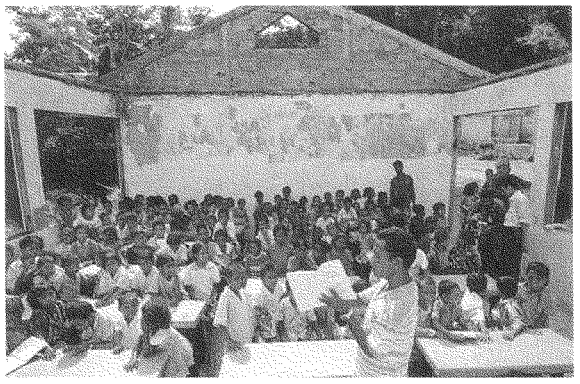

أمّا بالنسبة إلى الشقّ (ب) من سؤالكم فإنّ إسرائيل تتطلّب دعمًا أميركيًا لكي تواصل سياساتها الاحتلاليّةَ والعنصريّةَ. فإذا نالت هذا الدعمَ الأميركيَّ فإنّ العالم لن يتدخّل، على الأقلّ في الظروف الراهنة أو التي يُرجَّح أن تنشأ. فالولايات المتحدة قد استطاعت في نهاية المطاف، حتى في ظروفٍ أقلّ ملاءمةً، أن تصدّ الإجماعَ الدوليّ على تَسْوية سلميّة منذ منتصف السبعينيّات وعلى امتداد التسعينيّات، وكانت تَحْظى بدعم دوليّ هامّ في فعلها هذا حتى من قِبَل دول الجنوب. فلنفترضْ أنّ الولايات المتحدة سحبتْ دعمَها لإسرائيل. أحدُ الاحتمالات هو أن توجِّه إسرائيلُ نظرَها شَطْر «خيار شمشون» الذي ما انفكّ يُطرح هناك للنقاش منذ الخمسينيّات. وقد كتبتُ عن هذا الخيار في مكان آخر (انظر **المثلّث المحتوم**، ١٩٨٣)، كما كتب آخرون، ولن أعيدَ هنا ما كتبتُهُ. الاحتمال الثاني هو أن تَتْبع إسرائيلُ، ببساطة، أوامرَ الولايات المتحدة فتنسحبَ. وهذا الخيار محتمل جدّاً، في اعتقادي. وقد رأينا مثالاً يُشبهه إلى حدّ ما في أيلول (سبتمبر) ١٩٩٩. فالولايات المتحدة دعمتْ علنًا العدوانَ الأندونيسيَّ والفظائعَ الهائلةَ في تيمور الشرقيّة طوال ربع قرن وإلى تاريخ ٨ أيلول (سبتمبر)، حتى بَعْدَ أن طُرِد ٨٥٪ من السكّان من بيوتهم قبل أسبوع فحسب من ذلك التاريخ ودُمِّرت البلادُ في معظمها وَقُتِلَ الآلافُ، وأَقْسم الجنرالاتُ الأندونيسيُّون أن لا ينسحبوا من تيمور الشرقيّة، وراحوا يَنْشرون طائراتٍ (زوّدتهم بها بريطانيا) لصدّ أيّ قوّة تدخُّلٍ محتملة. ولكنْ بعد بضعة أيام أَعْلَمَ كلينتون الجنرالات، بهدوء وتحت ضغط دوليّ ومحليّ هامّ، بأنّ اللعبة انتهت. وخلال ٤٨ ساعة قَلَب الجنرالاتُ مسارَهم ١٨٠ درجة وبدأوا الانسحاب، فمكّنوا قوةَ حفظِ سلامٍ تقودها أستراليا من الدخول من دون معارضة الجيش الأندونيسيّ. على المرء، إذن، ألاّ يقلِّلَ من القوّة الماثلة في يدِ أولئك الذين يَحُوزون قوّةً عسكريّةً ساحقةً وسمعةً راعبةً. إنّ مثال أندونيسيا ـ تيمور الشرقيّة ليس هو مثالَ إسرائيل ـ الأراضي المحتلّة. ولكنْ ليس من غير المرجَّح أن تكون الحصيلةُ ههنا مماثلةً في الأساس. لم يكن سهلاً خلقُ الدعم الشعبيّ الذي كان عاملاً في تبدُّل السياسة الأميركيّة في حالة أندونيسيا. وسيكون هذا أصعبَ بكثير في الحالة الفلسطينيّة، ولاسيّما بعد سنوات طويلة من الامتناع عن القيام به. ومع ذلك فإنّه ممّا يَدْخل ضمن عالم الممكنات في رأيي.

١١ ـ عن خطر المقاومة المسلّحة على الوحدة الوطنيّة الفلسطينيّة:

لا أعتقد أنّ السؤال الثاني سيكون مطروحًا أصلاً بسبب التَّبِعات المحتملة للاعتداءات المسلّحة داخل إسرائيل، وهي التَّبعات التي ناقشتُها سابقًا. أمّا بالنسبة إلى أوسلو، ففي حدّ فهمي كانت هذه الاتفاقيّاتُ تحظى بدعمٍ قويّ من الشعب الفلسطينيّ. دعوني فقط أَذْكرْ حادثةً شخصيّةً. بعد أسابيع قليلة من إعلان المبادئ في أيلول (سبتمبر) ١٩٩٣ والمصافحةِ الشهيرة [بين عرفات ورابين] كنتُ ضمن هيئة محاضرين في بوسطن موضوعُها اتفاقيّاتُ أوسلو، جنبًا إلى جنب مع صديقٍ فلسطينيّ من عرب إسرائيل، شهير، ولكنّني لن أَذْكر اسمَهُ. وقدَّمتُ محاضرةً نقديّةً جدّاً (في ما كنتُ قد نشرتُه في ذلك الوقت). بعد ذلك ذهبنا أنا وصديقي لشُرب القهوة، فأخبرني أنّه يوافق إلى حدّ كبير على ما قلتُه (وإنْ كان أكثرَ تفاؤلاً بكثير أمام الحضور). ولكنّه أضاف أنّني لو قدَّمتُ تلك المحاضرةَ في رام اللّه لكان يُرجَّح أن يَشْنقوني، بالمعنى المجازيّ طبعًا، ولكنّي أعتقد أنّه كان مصيبًا ههنا. فبمقدور المرء أن يتّهم منظّمةَ التحرير الفلسطينيّة بأنّها قامت بإساءات كثيرة، لكنّني لا أعتقد أنّه يُمْكن اتّهامُها بالتخلّي في أوسلو عن الإجماع الوطنيّ ـ وهو [إجماعٌ] لسوء الحظّ، في رأيي. كانت ثمّة أوهامٌ كثيرة، وقد استمرّت هذه الأوهامُ زمنًا طويلاً. ولا أحتاج أن أذكِّرَكم بأنّ شخصياتٍ بارزةً كانت تُخْبر العالَمَ أنّ إسرائيل والولايات المتحدة وافقتا في أوسلو على الانسحاب الإسرائيليّ من المناطق المحتلّة طبقًا لقرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ (الذي تؤوّله أميركا وإسرائيل بشكل يختلف عن تأويل منظمة التحرير الفلسطينيّة كما كان ينبغي أن تَعْلم تلك الشخصيّاتُ). وهذه الأوهام استمرّت زمنًا طويلاً.

إنّ الطريق أمامنا لن يكون سهلاً. ولا أريد أن أوحي أنّ كيفيّة التقدُّم فيه واضحة؛ فهي بالتأكيد ليست كذلك. ولكنْ ثمّة أمرٌ واضحٌ مع ذلك. وهو أنّ علينا أن نتنبَّه إلى ضرورة تفكيك الأوهام، وأن نحاولَ أن نفكِّر في القضايا بأكبر قَدْرٍ ممكنٍ من الانتباه. فثمّة الكثير ممّا هو معرَّضٌ للخطر.

بوسطن